والمراتب جعل الكشاف وجه التسمية امرين احدهما كون السور كالمنازل والمراتب
يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مرتبة طوال وقصار واوساط وثانيها رفعة
شأنها وجلالتها في الدين وعدل الفاضل عنه ووجه الترتب في الطوال والقصر والتوسط
مع التفاوت في الشرف والفضل والثواب لان التسمية اما باعتبار مراتب القارئ فيها
واما باعتبار انها في انفسها منازل منفصل بعضها عن بعض فيناسب بذلك جمع طولها وقصرها
مع تفاوت مراتبها في الفضل وقد وجه السيد السند كلام الكشاف وهذه عبارته ثم ان الرتبة
ان جعلت حسية فلان السور كالمنازل يترقى فيها القارئ ويقف عند بعضها اولانها في
انفسها منازل منفصل بعضها عن بعض متفاوتة في الطول والقصر والتوسط وان جعلت
معنوية فلتفاوت رفعة شأنها وجلالة محلها في الدين كل واحدة منها رتبة من تلك المرتبة
ف وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء قال السيد
السند فيه ضعف من حيث اللفظ اذ لم يستعمل مهموزة في السبعة ولان الشاذة المنقولة
في كتاب مشهور وان اشعر به كلام الازهري حيث قال واكثر القراء على ترك الهمزة في لفظ
السورة من حيث المعنى ايضا لانها اسم شيء في قلة وحقارة وايضا استعماله فيما فضل بعد
ذهاب الاكثر هذا الاغتبر اباعتبار النظر اليه في نفسها هذا كلامه قال في القاموس سورة
القرآن لغة في السورة ولا يخفى ان ثبوت السورة بالهمزة بمعنى السورة يؤيد كون السورة
منقلبة الواو عن الهمزة ف ومن للتبعيض فدم احتمال التبعيض لان من للتبيين توهم
الامر باتيان سورة مماثلة لجميع ما نزلنا في البلاغة ولان في وصف البعض من الشيء
بكلمة من الداخلة على الشيء يكشف عن قصد التبعيض ويدعو اليه دعوة ظاهرة والمتبادر
من مثل ما نزلنا ما يكون السورة المأمور بالاتيان بها بعضا منه ولا شهادة غيرها من
آيات التحدي بوصف السورة بمماثلة القرآن لم يكن للتبيين مدخل كما انه لم يكن للزيادة على
مذهب الاخفش مدخل اذ لا مساغ للزيادة مع احتمال المعنى وما ذكره السيد السند من انه لا مساغ
للتبعيض لايهامه وجود مثل القرآن ورجوع التحدي الى الاتيان ببعض منه مما يدفعه مقام
التحدي فان قلت على تقدير التبعيض يلزم ان لا يثبت العجز بالاتيان بسورة مثل القرآن
ما لم تكن تلك السورة بعضا من مثل القرآن مع انه ليس كذلك قلت نعم الا انهم لما ارتابوا
في القرآن وجوزوا ان يكون من عند العبد فقد جوزوا امثاله للبشر فامروا بالاتيان بسورة
هي بعض مما جوزوه فكأن سورة يأتون بها يكون بعضا من مثل القرآن الذي جوزوه ولا وجه
لتخصيص نسبة جواز الزيادة بالاخفش لانه يوافقه الكوفيون في جواز زيادة من في الاثبات

الآن

الا ان يقال جعل الاخفش من زائدة في الآية وهو المراد بقوله عند الاخفش لا يصح الزيادة
على مذهبه ف اما بسورة مماثلة للقرآن آه تغير للسورة على جميع الاحتمالات اما على الاخير
فظاهر واما على التبعيض فلان المراد بكونه بعضا من مثل القرآن ان يكون مثله في البلاغة
والا لم يكن بعضا من مثل القرآن لان جميع سور القرآن مثله في كونه في اعلى درجات البلاغة
ف ومن للابتداء آه خص الابتداء بهذا التوجيه ولم يجوزوه على توجيه جعل الضمير لانزلنا اذ
لا يحسن اسناد من الابتدائية في الكل وجعل الجزء ناشئة منه بخلاف اسنادها الى المتكلم
وجعل الكلام مبتدأ منه وبهذا ظهر وجه تخصيص جعل من مثله صلة فأتوا باحتمال كون
الضمير للعبد اذ لا احتمال لكلمة من فيه الا الابتداء لانه لا يحتمل التبعيض لان البعض يأتي به
لا يأتي منه فلا بد من اعتبار كلمة الباء بمعنى من التبعيضية والاتيان ولا مجال له على انه
لا يبقى في صلة الاتيان ولا التبيين اذ لا ابهام على ان من التبيينية يكون ظرفا مستقرا ابدا
ولا الزيادة وهو ظاهر ولا يحسن دخول من الابتدائية على الكل بالنسبة الى الجزء وله وجه
آخر وهو ان الذوق السليم يعرف ان الامر التعجيزي بالاتيان بشيء من شيء يقتضي وجود المأتي
منه بخلاف الامر بالاتيان بشيء كائن مثل الشيء او كائن بعضا من مثل الشيء فانه لا يقتضي
وجود المثل فتأمل ف ولانه رده الى عبده لم يتوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته
وهو باطل وانما ساغ مع هذا الابهام عوده الى العبد لانه يندفع بقوله وادعوا شهداءكم
من دون الله ان كنتم صادقين على بعض الوجوه ف ويلائمه قوله وادعوا شهداءكم اي
لا يلائمه على بعض الوجوه لان الاعانة بالشهداء وجه له في الاتيان بسورة من شخص
آخر ويرد عليه ان عدم ملائمة هذا التوجيه لبعض توجيهات ادعوا شهداءكم لا يقتضي
كون التوجيه الاول اوجه لانه يجوز ان يجعل ذلك وجها لكون بعض توجيهات ادعوا شهداءكم
اوجه من بعض آخر لكونه ملائما باعتبارها بقوله تع فأتوا بسورة من مثله من جميع
الوجوه الا ان يقال لا تنافي بين الجعلين لانه كما ان عدم تلك الملائمة يجعل الوجه الاول
بجعله بعض الوجوه في قوله تع ادعوا شهداءكم اوجه فتأمل وقيل لا ملائمة مطلقا
اذ ليس الشهداء بمعنى القائمين بالشهادة ايضا شهداءهم بل شهداء المأتي منه باعتبار
الشهادة بان المأتي مثل القرآن لو كان المأتي منه مدعيا لذكر وكذلك شهداءهم بلا خفاء
في دعوى ان ما يأتيهم مثل القرآن فاضافة الشهداء اليهم كاضافتها الى المأتي منه بعد
مشاركتهم في دعوى المماثلة ف جمع شهيد بمعنى الحاضر وفي القاموس من معانيه الذي
لا يغيب عن علمه شيء هذا ولو حمل على هذا المعنى وكني به آلهتهم لكان مبالغة في التهكم بهم

Copyright © King Saud University